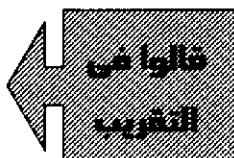


أ.د. عبد الرحيم علي

عضو مجمع التقرير بين المذاهب الإسلامية ومدير مهند الخرطوم الدولي للغة العربية

الأمة الإسلامية كلما تفرقت

اختلافت وضعفت (*)



أخواتي وأخواتي السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، يسعدني أن أهنئكم بمناسبة المولد النبوى، وأشكر الله تعالى أن قدر لي أن أخاطب جمكم هذا بدلًا أن أكون في مؤتمر الوحدة الذى ينعقد في طهران الآن، وأشكر لسفارة الإيرانية والمركز الثقافى الإيرانى الذى جمعنا هنا لنتحدث فى أمر جاد وقضية مهمة، فجعل مناسبة المولد ليس فقط لعمran الوجدان ولا للذكرى الصوفية، وتلاوة المدائح، ولكن للتأمل فى أحوالنا والتذير فى مآرب الأمة كلها إنشاء الله، فأقول ياختصار: أن ما تلقيت علينا من آيات لافتتاح الحفل الكريم يعتبر دستورا

* - كلمة القبّت بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف و أسبوع الوحدة الإسلامية في احتفال المستشارية الثقافية لسفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالخرطوم. المنعقد في ١٦ من ايار ٢٠٠٣ م المصادف ١٤ ربى الأول ١٤٢٤ هـ .

للامة الإسلامية لا يجوز لها أن تخالفه، وهو قول الله عزوجل: (واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا).

ثم أن هذا الدستور لن ترعرعه أمتنا حق رعايته فتفرقـت واحتـلفـت وـكان من نـتـائـجـ التـفـرقـ والـاخـتـلـافـ الـذـيـ نـهـىـ اللهـ تـعـالـىـ عـنـهـ أـنـ الـأـمـةـ ضـعـفـتـ وـتـشـتـتـتـ، وـطـمـعـ بـهـاـ عـدـوـهـاـ أـيـمـاـ طـمـعـ، فـالـذـيـ نـشـاهـدـهـ الـيـوـمـ مـنـ تـكـالـبـ الـأـمـمـ عـلـيـنـاـ لـيـحـسـنـ تـشـبـيـهـهـ إـلـاـ بـمـاـ شـبـهـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ حـيـنـمـاـ قـالـ: (كـمـاـ تـتـدـاعـىـ الـأـكـلـةـ عـلـىـ قـصـعـتـهـاـ)ـ فـكـانـ الـأـمـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ أـصـبـحـتـ وـلـيـمـةـ شـهـيـةـ جـاذـبـةـ وـاصـبـحـتـ الـأـمـمـ تـتـدـاعـىـ إـلـيـهـاـ لـتـأـكـلـ مـنـهـاـ، وـهـيـ غـيرـ قـادـرـةـ عـلـىـ أـنـ تـذـبـ عـنـهـاـ عـدـوـانـ الـعـتـدـيـنـ وـلـاـ شـهـوـةـ الـمـشـتـهـيـنـ، أـمـوـالـهـاـ تـهـبـ وـأـرـضـهـاـ توـطـأـ، وـالـعـدـوـانـ عـلـيـهـاـ هـوـ بـرـنـامـجـ كـلـ الـدـوـلـ الـغـابـرـةـ فـيـ هـذـاـ الزـمـانـ، وـصـفـ أـحـوـالـ الـأـمـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ قـدـ يـطـوـلـ، وـلـكـنـهـ بـمـاـ أـنـهـ وـاقـعـ يـعـاشـ، حـتـىـ أـطـفـالـنـاـ أـصـبـحـوـ يـعـلـمـونـ مـاـ قـدـ أـصـابـنـاـ، فـأـنـيـ لـاـ أـفـيـضـ فـيـهـ، وـلـكـنـ أـقـولـ: أـنـ الـمـصـيـبـةـ الـأـكـبـرـ فـيـ كـلـ الـمـصـاـبـ وـالـبـلـاـيـاـ الـتـيـ وـقـعـتـ عـلـيـنـاـ هـيـ مـنـ فـعـلـنـاـ نـحـنـ وـمـنـ تـفـرـقـنـاـ وـضـعـفـنـاـ، بـلـ أـنـيـ أـقـولـ أـنـ الـأـمـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ عـنـدـمـاـ تـفـرـقـتـ وـاحـتـلـفـتـ وـضـعـفـتـ وـاصـبـحـتـ مـسـؤـلـةـ عـنـ جـزـءـ كـبـيرـ مـنـ طـمـعـ الـطـامـعـينـ، لـأـنـهـاـ لـوـ كـانـتـ قـوـيـةـ لـاـ تـجـرـأـ الـطـامـعـونـ عـلـيـهـاـ، وـلـاـ كـانـ لـهـمـ وـارـعـ عـنـ أـطـمـاعـهـمـ وـخـطـايـاـهـمـ الـتـيـ قـدـنـاهـمـ إـلـيـهـاـ بـهـذـهـ الـأـطـمـاعـ، الـطـرـيـقـ إـلـىـ الـوـحدـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ يـكـمـنـ فـيـ عـدـةـ أـمـرـاـهـاـ:

أولاً: التـفـرقـ منـ أـهـمـ أـسـبـابـ الـفـرـقـةـ الطـائـفـيـةـ ثـمـ الـفـرـقـةـ الشـعـوبـيـةـ، الـاستـعـمارـ عـنـدـمـاـ أـرـادـ أـنـ يـطـأـ أـرـضـ الـأـمـةـ وـيـغـتـصـبـ خـيـرـاتـهـاـ لـجـاـإـلـىـ إـشـارـةـ نـعـرـاتـ شـعـوبـيـةـ قـطـرـيـةـ قـومـيـةـ فـيـ مـخـتـلـفـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ، وـهـذـاـ خـلـافـ لـاـ أـمـرـ بـهـ الرـسـوـلـ (صـ)، وـكـانـ خـلـافـ لـاـ أـمـرـ بـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ حلـ قـضـيـةـ الـأـصـوـلـ وـالـشـعـوبـ فـيـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ فـقـالـ: (يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ إـنـاـ خـلـقـنـاـكـمـ مـنـ ذـكـرـ

وأنـشـى وجـلـناـكـم شـعـوبـاـ وـقـبـائـلـ لـتـعـارـفـواـ) ثـمـ أـرـدـفـ ذـلـكـ بـقـولـهـ: (إـنـ أـكـرـمـكـمـ عـنـدـ اللهـ أـنـقـاـكـمـ) وـكـانـ تـفـسـيرـ ذـلـكـ فـي قـوـلـ النـبـيـ(صـ) لـأـفـضـلـ لـعـربـيـ عـلـىـ أـعـجمـيـ وـلـأـعـجمـيـ عـلـىـ عـربـيـ. فـكـانـ ذـلـكـ تـفـسـيرـاـ لـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: (إـنـ أـكـرـمـكـمـ عـنـدـ اللهـ أـنـقـاـكـمـ) وـلـكـنـ الـأـمـةـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ دـبـتـ فـيـهـاـ أـنـوـاعـ مـنـ الـعـصـبـيـاتـ وـالـقـوـمـيـاتـ وـالـأـحـزـابـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ الـاحـتـفالـ بـالـعـرـفـ وـالـاحـتـفالـ بـالـلـوـنـ وـالـاحـتـفالـ بـالـشـعـبـ وـالـاحـتـفالـ بـالـقـطـرـ، إـلـىـ أـنـ أـصـبـحـتـ هـذـهـ الـعـصـبـيـاتـ دـيـنـاـ جـدـيـداـ يـفـتـ فيـ وـحـدـةـ الـأـمـةـ، وـفـيـ عـضـدـهـاـ وـيـفـرـقـهـاـ أـيـمـاـ تـفـرـيقـ، وـلـاـ سـبـيلـ إـلـىـ وـحـدـةـ إـسـلـامـيـةـ جـامـعـةـ حـتـىـ يـعـلـمـ الـمـسـلـمـونـ أـنـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ الدـيـنـ أـعـلـىـ مـنـ كـلـ تـلـكـ الـعـصـبـيـاتـ وـالـقـوـمـيـاتـ، وـأـنـ يـكـوـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـوـقـ ذـلـكـ جـمـعـيـاـ، وـأـنـ يـكـوـنـ وـلـاءـ الـسـلـمـ لـدـيـنـهـ وـلـأـمـتـهـ فـوـقـ الـوـلـاءـ لـلـوـطـنـ، وـفـوـقـ الـوـلـاءـ لـلـقـطـرـ وـفـوـقـ الـوـلـاءـ لـلـإـقـلـيمـ وـفـوـقـ الـوـلـاءـ لـلـقـبـيـلـةـ.

أـمـاـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـقـضـيـةـ الـفـرـقـةـ الـتـيـ صـارـتـ بـسـبـبـ الـمـذـهـبـيـاتـ فـأـنـ هـذـهـ الـمـسـأـلةـ إـذـ أـرـدـنـاـ أـنـ نـفـيـضـ فـيـهـاـ وـجـدـنـاـ فـيـ تـارـيـخـنـاـ عـجـباـ، نـسـيـ النـاسـ كـثـيـراـ مـنـ الـعـصـورـ إـسـلـامـيـةـ أـنـهـمـ يـجـمـعـهـمـ دـيـنـ وـرـبـ وـاـحـدـ، وـيـجـمـعـهـمـ كـتـابـ وـاـحـدـ وـقـبـلـةـ وـاـحـدـةـ، تـجـمـعـهـمـ عـقـيـدةـ التـوـحـيدـ وـالـإـيمـانـ بـالـلـهـ عـزـوـجـلـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـالـبـعـثـ وـالـحـسـابـ، وـتـجـمـعـهـمـ شـرـائـعـ كـثـيـرـةـ جـامـعـةـ وـأـصـولـ مـتـفـقـ عـلـيـهـاـ، وـمـنـ بـعـدـ ذـلـكـ تـفـرـقـواـ عـلـىـ قـضـاـيـاـ مـذـهـبـيـةـ، كـثـيـرـ مـنـهـاـ حـقـيرـ، مـاـكـانـ يـجـبـ أـنـ يـفـرـقـ الـأـمـةـ، حـتـىـ أـنـ بـعـضـ الـمـذاـهـبـ كـانـ بـعـضـهـاـ لـاـ يـصـلـيـ مـعـ بـعـضـ، وـلـاـ يـجـبـ أـنـ تـحـسـبـوـاـ إـنـ كـانـ هـذـاـ فـقـطـ بـيـنـ السـنـةـ وـالـشـيـعـةـ، وـلـكـنـ كـانـ فـيـ إـطـارـ الشـيـعـةـ اـخـتـلـافـاتـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ، وـكـانـ فـيـ إـطـارـ السـنـةـ اـخـتـلـافـاتـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ، فـرـقـتـ النـاسـ وـتـقـاتـلـوـاـ عـلـيـهـاـ وـمـرـقـتـهـمـ أـيـمـاـ تـمـرـقـ، كـلـ هـذـاـ الـرـاثـ الـمـتـبـاـيـنـ مـنـ اـخـتـلـافـاتـ فـقـيـهـةـ أـوـ أـصـولـيـةـ لـاـ يـجـبـ أـنـ يـعـلـىـ بـهـ فـوـقـ الـأـصـولـ الـجـامـعـةـ، وـلـنـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـجـمـعـ النـاسـ

وقد تفرقوا على مذهب واحد أو على مذهب قانوني – أو فقهى أو أصولي واحد فهذا من سنن الكون، قاله سبحانه وتعالى يقول: (ولا يزالون مختلفين) أي أن الاختلاف يقع بين الناس، فهو سنة من السنن الكونية التي تحدث في كل شعب وفي كل أمة مع الزمن، لكن الوحدة التي يجب أن نطلبها هي الوحدة التي لا تتحقق مع كل هذه الاختلافات إلا لسبعين:

الأول: أن نعلم أن هذه الاختلافات مع كثرتها وتنوعها هي اختلافات صغيرة، فنلتقي ونطلب البقاء على الأمور الجامدة الموحدة، ليكون سبب ذلك أو هذا الاجتماع على ما ذكره بعض علمائنا أن نجتمع فيما اجتمعنا عليه ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه.

الثاني: أن هذه القضية، قضية الاختلافات المذهبية والفقهية، هو أن نجعل من القضايا التي اختلفنا عليها قضايا هامشية مؤجلة، نطرحها ولا نختلف عليها ولكننا نتحاور فيها، تحاورا لا يذهب بالورد ولا يقتضي على، الوحدة، ولكنه يوحد بقدر المستطاع، ثم نبني على ما لا نستطيع الاتفاق عليه لا يؤثر على وحدتنا، في عصرنا هذا الذي ذكرت صفاتيه وخصائصه في أول كلامي لن تستطيع طائفنة من الطوائف أن تعيش بمعزل عن الدنيا، ولن تستطيع الأمة الإسلامية أن تكون بمعزل عن الأمم الأخرى، ولذلك فإن من أهم ما يجب أن ندركه في فهم عصرنا وزماننا لابد لنا ونحن نتحاور ونلتقي ونتفاعل ونختلف ونتفق مع الشعوب الأخرى والأمم الأخرى، لابد لنا من وحدة جامعة، ولابد لنا من قوة تذهب عنا طمع الطامعين، وتسرد لنا الهيبة في هذا العالم، والمكانة التي كانت في الماضي أن الشعوب الأوروبية التي اجتمعت لأن في وحدة ثقافية واقتصادية وعسكرية وبرلان واحد، كانت بينها حروب طاحنة في الأمد القريب العاصر، وفرقتها أديان وصراعات بين أنواع من الكنائس كلها معروفة في التاريخ، وفرقتها

كذلك السنة واختلافات ثقافية عديدة، ولاشك أنكم لا تحتاجون إلى تذكير أن الحرب العالمية الأولى والثانية لم تكن إلا بين الشعوب الأوروبية، ومع ذلك فقد أدركت هذه الشعوب أن قوتها في عالمنا العاـصر في وحدتها، ولذلك جلست تدرس أسباب الوحدة الاقتصادية أو لـ ثم الثقافية ثم السياسية ثم العسكرية، فهي الان تضرب عن قوس واحدة وتربى أبناءـها على وحدة ثقافية، بحيث يستطيع الشاب أو الطالب أو الطالبة الجامعية أن تخرج من بيـتها في أي قطر من أقطار أوروبا وتسافر من غير جواز بـانحـاء أوروبا وبـغير تأشيرة، وكان المسلمون أولـي بذلك لأنـهم عـاشـوا به قبل فـرون طـولـية، كانت العملـة الإسلامية تـتنـقل من الـيمـن جـنـوباً وـحتـى اـطـرافـ أورـبا الشـرقـية، وـحتـى اـطـرافـ الصين، تسافـرـ بها القـوـافـلـ التجـارـية ولا يـحتاجـ الواـحـدـ إلى تـأشـيرـةـ، لـأنـهـ كانـ يـسـافـرـ لـأـرـضـ قدـ وـحدـهاـ الإـسـلامـ، وـنـحنـ معـ ذـلـكـ لـايـجـبـ أنـ نـتـفـرـقـ فيـ ذـكـرـيـ التـارـيخـ، وـلـكـنـ يـجـبـ أنـ نـنـظـرـ إـلـىـ الـإـمـامـ. أنـ الـوـحدـةـ الإـسـلامـيـةـ مـمـكـنةـ، وـأـصـولـهاـ مـوـجـودـةـ، وـجـذـورـهاـ لـاتـزالـ حـيـةـ، فـقـطـ تـحـتـاجـ إـلـىـ الـوعـيـ وـالـإـدـرـاكـ فـقـطـ، وـيـجـبـ أنـ نـعـلمـ إـخـوـتـناـ أـنـ الـخـطـرـ كـلـ الـخـطـرـ وـالـدـوـاهـيـ الـعـظـيمـةـ تـكـمـنـ فيـ هـذـاـ الـضـعـفـ، الـذـيـ نـوـاجـهـ وـتـوـاجـهـ شـعـوبـنـاـ الـيـوـمـ، فـقـدـ شـبـابـنـاـ الثـقـةـ فيـ عـلـمـانـاـ، وـفـقـدـ أـبـنـاؤـنـاـ الثـقـفةـ فيـ قـيـادـتـنـاـ السـيـاسـيـةـ، وـلـذـلـكـ أـنـ ظـاهـرـةـ ماـ يـسـمـىـ بـالـإـرـهـابـ الـآنـ مـاهـيـ إـلـاـ فـقـدانـ هـذـهـ الثـقـةـ. أـرـادـ كـثـيرـ مـنـ شـبـابـ الـعـالـمـ الإـسـلامـيـ أـنـ يـأـخـذـواـ الـقـوـيـ بـأـيـديـهـمـ، وـأـنـ يـنـتـصـرـواـ لـكـرامـتـهـمـ بـأـنـ يـقـتـلـواـ أـنـفـسـهـمـ فيـ كـلـ مـكـانـ، وـلـكـنـ يـجـبـ أنـ نـعـلمـ وـانـ يـعـلـمـواـ أـنـ هـذـهـ الـشـعـوبـ وـهـذـهـ الـأـمـمـ تـحـتـ قـيـادـاتـ تـثـقـ فـيـهـاـ، وـانـ نـجـعـلـ منـ وـحدـتهاـ قـوـةـ تـصـدـ بـهـاـ غـزـوـ الغـرـازـ وـهـيـمـنـةـ الـمـهـمـنـينـ، وـتـسـتـرـ بـهـاـ كـرامـتـهاـ وـعـزـتـهاـ وـذـلـكـ إـنشـاءـ اللـهـ هـوـ السـبـيلـ، وـهـوـ مـمـكـنـ بـإـذـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ. أـقـولـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ وـأـرـجوـ أـنـ يـكـوـنـ مـوـضـوـعـ الـوـحدـةـ الإـسـلامـيـةـ مـوـضـوـعـ الـتـدـارـسـ مـسـتـمرـ

فقد شهدت في مجمع التقرير في إيران أكثر من مرة دراسات معمقة حول قضايا التقرير منها دراسات حول القرآن و موقف المذاهب منه، ومنها دراسات حول السنة و موقف المذاهب منها، ومنها دراسات حول القضايا الفقهية المتفق عليها والختلف حولها، ومثل هذه الدراسات يجب أن تكون ديدنا في كل البلاد، كما أنه لابد لثقفينا وعلمائنا من أن يبادروا الى دراسة الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية، ولا يجب أن يظنوا أن هذه القضية تخص السياسيين وحدهم، لأن السياسيين في كثير من بلادنا عاجزون من أن يفكروا، فضلاً أن يسألوا ، ولابد من قيادة للشباب المثقفين والقيادات الثقافية في هذه القضايا لكي تسترد هذه الأمور وتضعها في نصابها.